

وما أشد حاجتنا إلى التحصن بتلك المبادئ، ليتمكن أن نعيش في هذا العالم المضطرب الذي يريد كل طالم فيه أن يحملنا على مبائه زاعماً أنها مثالية، تضمن السعادة والنهاة للبشرية.

نحن نكتب هذا ومئات الآلاف من المسلمين يطوفون حول البيت العتيق، يهللون ويكتبرون، ويسبحون الله الواحد الأحد، فهل يذكرون أن مكة التي تفتح صدرها لهم، ويتردد في أرجائها تكبيرهم وتسبيحهم، قد ضاقت بالرسول وصحابته، وحالت بينه وبين عرض عقيدة التوحيد على الناس فيها، فهاجر تلك الهجرة المباركة، التي أوجدت الملة الإسلامية. ومهدت للمسلمين سبيل الحج وطهرت كعبتهم من الأوثان والرجس؟

وبعد، فلماذا لا نتخذ من حياة الرسول المليئة بالهجرة الصالحة مثلاً نحتذيه، وطريقاً نسلكه لتتخلص مما نحن فيه، فقد لزمنا الذل، وركبنا العار، وهان أمرنا على الناس حتى أن شذاذ اليهود أقاموا لهم دولة في قلب أرضنا السلامية تهدد وجودنا بأشد من تهديد يهود يثرب لمسلمي صدر الإسلام.

ولئن كان الأولون تخلصوا من كل خطر حاق بهم، بفضل تحصنهم بمبادئ الدين، والتزامهم محبة الرسول ونهجه؛ إن على القادة في أيامنا هذه – إن أرادوا النجاة والخلص من كل خطر داهم، وذل جائم، وعبودية مهينة – أن يبدؤوا من أول الطريق، فينظروا بعين الاعتبار إلى الهجرة، ويتفهموا حقيقة معناها. وما هي إلا التضحية، ونسيان الذات، وعدم الخضوع لمؤثرات البيئة والمجتمع واتخاذ خطوات إيجابية حاسمة، تساعد على الهجرة بأنفسهم وبالناس معهم، فإلى الهجرة؟